الشعر بين الموروث والهوية عند محمود درويش وعبدالله بشيو

م.م. ريبر عبدالغفار عزيز[1] أ.م.د.جوان عبدالقادر عبدالله[2]

[1&2] بەش زمان عەرەبی، فاکەڵتی ئاداب، زانکۆ سۆران

المستخلص

خلق الاستعمار الثقافي، عبر سيطرته على عقول الشباب، أجيالاً فارغة لا تعرف شيئا عن موروثها الثقافي والحضاري وبالتالي أجيالا بلا هوية، لا تتقن لغتها الأم بينما تتباهى بقدرتها على التواصل باللغات الأجنبية المختلفة. لذلك كان من المهم الإنتباه إلى هذه المسألة وحماية الهوية القومية قدر الإمكان، و لاشك إن هذه المهمة تقع على عاتق مثقفي كل أمة بالدرجة الأولى، وبما أن الشعراء كانوا خير ممثلين لشعوبهم على مر العصور كان لزاما أن يحملوا على عاتقهم هذه المهمة، وبالفعل كان لهم دور بارز على مر التاريخ في قضية حماية الموروث القومي وهويته من التلاشي والاندثار. ولنا في عالم الشعر خاصة والأدب عامة نماذج عديدة، وفي هذه الدراسة سنقف عند شعر شاعرين مهمين في الأدب الحديث وظّفا كثيراً الموروث ودافعا عن الهوية في شعرهما وهما: محمود درويش الشاعر الفلسطيني وعبدالله بشيو الشاعر الكوردي، وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تكون لها مقدمة نظرية عن الشعر الحديث وأسلوب استلهامه للتراث والهوية، ومبحثان تناولنا فيهما توظيف التراث والهوية في شعر الشاعرين، أما المنهج المتبع في هذه الدراسة فقد كان المنهج التحليلي الذي يستفيد من جميع النظريات والمناهج الحديثة المطبقة على النص الأدبي.

الكلمات المفتاحية: الشعر، الموروث، الهوية، محمود درويش، عبدالله بشيو.

1. المقدمة

إن التراث ركيزة أساسية من ركائز الأمم، فهو الهوية الثقافية لأي أمة، وعنوان اعتزازها بذاتها الحضارية في ماضيها وحاضرها. ويعد التراث أحد مصادر الإلهام الشعري الرئيسة التي تشكل دافعا للشاعر للتعبير عما يختلج نفسه من أفكار ورؤى فالماضي لا ينتهي بانتهاء أحداثه وموت شخوصه. إنما هو ماضي في الحاضر والآتي في ضوء ذلك تقع على الشاعر مسؤولية وصل الماضي بالحاضر واستشراق المستقبل فيكون المجتمع قد سخر المجتمع لخدمة المجتمع وما يلامس قضاياه، ويعبر عنها ويؤكد الشاعر والناقد والمسرحي ت.س.إليوت "ذلك حين ينفي إمكانية الحكم على الشاعر بمنأى عن كل ما يمت لماضيه بصلة وعن موروثه الذي يتلقفه ممن سبقوه لشعر وقيمته وقيمة فنه على هذا الأساس". (د.سهى حسن مشرقي، 2022، ص17).

ويشكل التراث موردا خصبا ومعينا لا ينضب للشاعر فهو يرفده بأنواع الثقافة المنقبة لحقول المعرفة المتنوعة (الدينية والأدبية والحضارية والتاريخية) فضلا عن العادات والتقاليد الاجتماعية والأساطير التي تمس حياة الإنسان وماضيه من شأنها أن تخلق جسراً من التواصل بينه وبين ماضيه وتكمن القيمة العظيمة للرجوع إلى الماضي في تدعيم الحاضر من أجل تأكيد الوجود وإثبات الذات والإفادة من تجاربه في حياة البشر.(عبدالله نبهان، 1997).

ويعد استلهام التراث الأدبي مفتاحا مهما وبارزا في الكشف عن شعرية النص، وسبر

صول اليها

مجلّة پۆليتكنيك للعلوم الإنسانية والإجتماعية
المجلد 4، العدد 2 (2023)
أُستلم البحث في 29 أكتوبر 2022؛ قُبل في 22 أبريل 2023
ورقة بحث منتظمة: نُشرت في 5 أغسطس 2023
البريد الإلكتروني للمؤلف :rebar.aziz@soran.edu.iq
حقوق الطبع والنشر © 2023 ريبر، د.جوان. هذه مقالة الو مفتوح موزعة تحت رخصة المشاع الإبداعي النسبية - CC BY-NC-ND 4.0

أغواره الداخلية، والكشف عن خفاياه، إذ يشكل الاستلهام المقصود وغير المقصود سببا رئيسا في هندسة النص الشعري الحديث، ونقل رؤية الشاعر ومبتغاه الذاتي تجاه مفردات الحياة ورموزها إلى المتلقي.(إبراهيم الدهون، 2012).

ومن هذا المنطلق أولى الشعراء المعاصرون التراث عناية خاصة وجعلوه محط اهتمامهم؛ وقد أصبح توظيف التراث في الأعمال الادبية سمة بارزة خاصة في الشعر المعاصر، فهو أحد أهم الروافد التي أمكن الشاعر توظيفها للتعبير عن تجربته الشعرية. فغلوا ينهلون منه بأشكاله المختلفة لتقوية معانيهم والتأثير في المتلقين، وإعادتهم إلى ماضيهم الذي هو انعكاس فكرهم ومثل قيمهم وعنوان أصالتهم ويجلهم والإفادة من تجارب أسلافهم. (د.سهى حسن مشرقي، 2022).

واستطاع الشعراء المحدثون أن "ينظروا إلى التراث من بعد مناسب وأن يتمثلوه، لا صورا وأشكالا وقوالب، بل جوهرا وروحا ومواقف، فأدركوا بذلك أبعاده المعنوية"(عزالدين إسماعيل، 1981، ص28).

فقد ساهم موقف الشاعر من التراث في "تحديد القيم الجمالية والتجربة الشعرية المعاصرة فأصبح التراث الإنساني لديه مكونا أساسيا من تكوينه الشعري، حيث يستطيع من خلاله استيعاب الوجدان الإنساني عامة في إطار حضارة العصر وموقف الشاعر منه كإنسان معاصر".(بوعمارة بوعيشة، 2011، ص7).

ولكن اختلف استدعاء التراث وتوظيفه من شاعر لآخر وذلك تبعا لفهمه للمضامين التراثية لأمته، وعلى مستواه الفكري والثقافي، وانتمائه السياسي وطبقته الاجتماعية وقدرته الشعرية.

ينتقي الشاعر من التراث ما يراه مناسبا، فلا يأخذ كله ولا يقصي جله، ومن هنا يأخذ الشاعر من التراث ما يعبر عن ميول الناس، واتجاهاتهم وقيمهم بتحديد ما هو ممكن ومرغوب بما يتفق مع روح العصر.

أضف إلى ذلك أن استخدام الشاعر المعاصر للتراث يضفي على عمله "عراقة وأصالة ويمثل نوعا من امتداد الماضي في الحاضر، ويتغلغل في جذوره في تربة الماضي الخصبة المعطاءة، كما أنه يمنح الرؤية الشعرية نوعا من الشمول والكلية"(عمارة بوعيشة، 2011، ص3). فيجعلها تتخطى حدود الزمان والمكان، فالماضي موجه للحاضر ويمتد إلى المستقبل.

وتكمن أهمية التراث للشعراء في إغناء تجاربهم الموضوعية والفنية، إذ إن " التقف بالتراث والاستفادة منه، يسهم أيضاً في تطوير فن الشاعر، والارتقاء بقدراته التعبيرية كما أنه يشكل بعض أسرار جودة الصياغة الفنية في معظم الشعر المعاصر"(طه وادي، 1989، ص 74)، فأصبح ملمحاً أسلوبياً في بنية النص الشعري، على تفاوت بين الشعراء أما بالنسبة للمتلقي فإنه يجعله أكثر تفاعلاً مع النص، ويمنحه الشعور باللذة الأدبية ويضفي عليه الألفة فيغلف النص الشعري الجديد بقالب تراثي يتبعه شعور بالفخامة والأصالة فيغدو النص قريباً - وجدانيا - من المتلقي (مصلح النجار، 2005).

أما الهوية فهي من الإشكاليات الحديثة التي واجهت الإنسان المعاصر وهو يبحث عن انتمائه الوجودي وما يحقق تميزه الذاتي وخصوصياته الثقافية، وقد سعى الشاعر المعاصر إلى أن يعطي لهذه المواجهة صورة يجسد من خلالها فكرة البحث عن الذات وسط ما تعانيه من استلاب يهدد هويتها ويفقدها أصالة الانتماء الوجودي وما يحقق تميزه الذاتي وخصوصياته الثقافية.

وإذا كان الأدب والشعر بصورة خاصة يقوم على تفعيل روح المواجهة ومقاومة التحديات التي تحدق بالذات من خلال صراعها المستمر في منعطفات الزمن. فإن الشاعر سعى إلى أن يعطي لهذه المواجهة صورة يجسد من خلالها فكرة البحث عن الذات وسط ما تعانيه من استلاب يهدد هويتها ويفقدها أصالة الانتماء الحضاري.

إن الشعر منذ أن أدرك الإنسان أو أدركه قد عمل وبفعالية سحرية وجبارة، على تفعيل مواجهة الإنسان للحياة واستئناف حواره الندي معها، ودفع المعادلة المؤلفة لإشكاليتها باتجاه التعادل التقريبي دائما، إنها موازنة كبرى من الموازنات التي اقترحتها الطبيعة لإرضاء الأطراف جميعا، وتسوية أكثر المشكلات تعقيدا وتداخلا، نحو تعميق أداء الفعل الخلاق للشعر، الذي يمنحه ذلك قدرا من الاطمئنان والسلام. ويقلل لديه حدة التوتر والقلق والإحساس بالعزلة، فمن وظائف الشعر الخطيرة منع الذات الإنسانسة من التآكل والتلاشي والانسحاب إلأى ما دون الخط الفاصل بين المتن والهامش، أملا في دفعها نحو استغلال المنجز الحضاري واستثماره ممولا من مصادر التمويل الإبداعي المهمة التي ترفد التجربة الشعرية بكل ما هو أجد وأحدث.(د.محمد صابر عبيد، 2011). ذلك أن "الشعر يستمد ركائزه من أبنية الثقافة التي ينتمي إليها الشاعر، لكنه لا يخضع لها بشكل بناء موازيا ومعادلا لهذه الأبنية يعكس آليات إنتاج المعرفة لا لتثبيتها وإنما لكشف تناقضاتها".(اعتدال عثمان، 1986، ص99).

فالشاعر المعاصر مرتهن في وجوده بمرجعياته الثقافية وانتمائه الحضاري، ولذلك سعى إلى تمثل تلك المرجعيات وذلك الانتماء عبر محاولته في التعبير عن لحظته الراهنة وما تحمله من شعور بالانتكاس والهزيمة، إزاء ما تختزنه ذاكرته من أمجاد معرفية وعمق حضاري وصروح فكرية، شكلت مجتمعة صورة للذات المعاصرة وهي تعيش مخاض الأحداث التي جسدتها لحظات الضياع التي تمر بها وما رافقها من حالات التيه الفكري الذي صبغ الواقع وما أحدثه من تصدعات وانشطارات في اعماق الذات المعاصرة.(رائد فؤاد، 2021).

وقد مثلت نصوص الشاعريين محمود درويش و عبدالله بشيو، إنموذجا للشعر الذي عبر عن هوية الذات الحضارية وهي تعيش لحظتها الراهنة بكل تفاصيله، لا سيما حين تواجه الذات واقعا يشهد صراعا على الهوية ومكتسباتها ومحاولات للحفاظ عليها من المخاطر المحدقة بها.

وفي بحثنا ارتأينا أن نتناول مسألة (الشعر مابين الموروث والهوية) وما ارتبط بهما من تعالقات في شعر الشاعر الفلسطيني محمود درويش والشاعر الكوردي عبدالله بشيو محاولين تتبع هذه التجليات في ديوانيهما الشعري، ونسعى إلى الإجابة عن كيفية توظيف كل من الشاعرين شعرهما للحفاظ على هويتها، والاسلوب الذي لجأ اليه الشاعران لربط الشعر بالموروث والهوية؟. عبر استنطاق نصوصها الشعرية في سياقاتها المتعددة ووفقا لدلالات تلك النصوص الثاوية في بنيتها العميقة والمتجلية في مضامينها الظاهرة والمضمرة.

1.1 المبحث الأول: الشعر والتراث

الشاعران محمود درويش وعبدالله بشيو كانا خير ممثلين لشعبيهما وثقافتهما فيما يخص التراث، ومن المعلوم أن الشاعرين صاحبا قضية، فمحمود درويش من شعراء المقاومة الفلسطينة وناضل في سبيل قضيته من خلال مشواره الشعري وكذلك الشاعر الكوردي عبدالله بشيو، فقد كان صراعهما مع المغتصب أولا وآخرا صراعا من أجل الحفاظ على الهوية وإن كان محمود درويش أوفر حظا من عبدالله بشيو كونه ينتمي إلى دولة اسمها فلسطين ولكن عبدالله بشيو كان يحس بالضياع والتيه مثل كافة أبناء جلدته

لا بلد يحويهم أو يلمُّ شتاتهم. وسنحاول في هذا المبحث التركيز على توظيف الشاعرين للتراث في سبيل قضيتهما. كتوظيف التراث الأدبي والديني، والشعبي، والتاريخي، والأسطوري.

الموروث الأدبي:

التراث الأدبي هو أقوى الأنواع التراثية وأقربها إلى نفس الشاعر، لما يمتلكه من قدرة على استيعاب تجارب من سبقه من أدباء، وقد استغل محمود درويش التراث بكافة أشكاله للدفاع عن قضيته وقضية شعبه، لا سيما التراث الأدبي؛ فقد أدرك ما فيه من تجارب، ومن إمكانات لغوية وبيانية قادرة على إعانته في التعبير عن مقاصده ومعانيه بصورة مؤثرة. وقد نظر محمود درويش في التراث الأدبي؛ وحرص على أن يكون كل حدث أو شخصية مستعارة من التراث الأدبي معبرة عن موقف الشاعر الذاتي، وقادرة على الربط بأزمات الواقع الراهن وما يطمح إليه الإنسان المعاصر. وإنه لم يقتصر على توظيف الأدب العربي فحسب، وإنما تعداه إلى استغلال الموروثات غير العربية، ومن أهم الشخصيات الأدبية التي استحوذت على تفكير محمود درويش شخصية الشاعر المتنبي، فقد كان شغوفا بهذه الشخصية: سيرة وأدبا، لما تمثله هذه الشخصية من حضور قوي في الساحة الأدبية، حيث يستدعي شخصية المتنبي في قصيدته (**رحلة المتنبي إلى مصر**) تعبيرا عن تلك المنزلة التي حظيت بها عند محمود درويش فيقول:

أرى دُوَلاً تُوَزَّعُ كالهدايا

والنهرُ لا يمشي إليّ ' فلا أراهُ

والحقلُ لا ينضو الفراش على يديَّ ' فلا أراهُ

لا مصر في مصر التي أمشي إلى أسراها

أرى الفراغ , وكُلَّما صافحتُها

شَقَّتْ يدينا بابلُ

في مصر كافورٌ.... وفي زلازلُ (محمود درويش، 2005)

فهذا المقطع جزء من قصيدة يستدعي فيها محمود درويش أبا الطيب المتنبي كمحور أساسي فيها وقد حمل عنوان القصيدة اسمه؛ فمضمون القصيدة كلها هو المتنبي وقصته مع كافور ورحلته إلى مصر؛ فمعروف ما كان يمتاز به الشاعر المعروف من طموح، وسعي إلى الأفضل؛ فكان يرى لنفسه الأحقية في الولاية، وبخاصة في مصر، وقد فارق حلب والشام مما دفعه إلى مصر حيث كافور الذي توسل بمديحه ليحقق ما كان يطمح إليه، ولكن المتنبي عاد صفر اليدين ولم يتمكن من ذلك؛ فقد وشى به الوشاة؛ فهجاهم وهجا كافورا ومصر هجاء مرا. وما المتنبي إلا صورة أخرى لمحمود درويش في السعي إلى تحقيق الأهداف وهو العامل المشترك بينهما، إلا أن هدف محمود درويش ليس طلبا للولاية وإنما إلى الوحدة العربية وأن يتولى العرب شؤون أنفسهم بأنفسهم وليس كما هو في مصر وغيره وقد تولى أمرها أناس من غير العرب، وتجدر الإشارة إلى أن شخصية المتنبي تحمل دلالات متعددة الجوانب، لكن البعد السياسي أكثر ما اجتذب الشاعر في هذه الأبيات.

ومن خلال تتبعنا لقصائد الشاعرين نجد نفس القضية عند عبدالله بشيو فهو مثل محمود درويش يبحث عن الوحدة الكوردية من خلال استدعاء شخصية الشاعر الكوردي حجي قادر الكويي. ففي قصيدته المسماة بـ (**دووبەرەکی – الخصومة**) حيث يقول:

شەو لە خەوما

ئارامگەی حاجیم دیتەوە

گوتم:(حاجی پەرێشانین)

گوتی: (مەرد بە زیندووم کەوە!)

گوتم: (گەورەم! من عیسا نیم،

چۆن زیندوت کەمەوە، بێژە!

گوتی: لێرە دەرم بێنە،

دووبەرەکی

لە شوێنەکەی من بنێژە!) (ديوان عبدالله بشيو، 2002، ص152)

قلق الشاعر عبدالله بشيو على شعبه بسبب الخصومة والنزاع الموجود بينهم، جعله لا ينام بهدوء وطمأنينة، بل كان يبحث عن حل هذه المشكلة، فإن لم يستطع حلها واقعا، فكان يسعى لمعالجتها في الحلم، مستدعيا شخصية شاعر وطني، اسمه حجي قادر الكويي الذي ولد في مدينة كويسنجق سنة (1816م) والذي كان شاعرا مجيدا ينظم بالكردية ويتعصب لها، وكانت قصائده آيات في الشعر القومي الفياض، والحماسة الوطنية، وتوفي في عام (1892م).(حمدي عبدالمجيد السلفي، تحسين إبراهيم الدوسكي، 2008). متحدثا له عن همومه وهموم شعبه، خلال التقائه به أثناء عثوره على قبره في منامه فيقول لحجي قادر: نحن مهمومون يا حجي، فيرد عليه حجي قادر ويقول له: كن شجاعا وأحيني، يائسا لا حول له ولا قوة وبنفس باردة يجيبه ويقول: سيدي: أنا لست عيسى، قل: كيف أحييك؟!، فقال له حجي قادر: أخرجني من هنا وأدفن الخصوم فيه بدلا مني.

واضح أن كلا الشاعرين حملا على أكتافهما حزن الخصومة الموجودة بين أبناء جلدتهم وفي النوم والموت تنيا من خلال قصائدهما أن ينجو هذا الشعب من الصراع الأزلي الذي ابتلي فيه.

الموروث الديني:

شاع استخدام التّراث الدّينيّ وشخصيّات الموروث الدّينيّ في الشّعر المعاصر إذ أصبح سمة من سمات العصر. فقد كان التّراث في كلّ العصور بالنّسبة إلى الشّاعر هو الينبوع الدّائم المتفجّر بأصل القيم وأنصعها وأبقاها، والمصادر التراثيّة الدّينيّة التي استمدّ منها الشّعراء المعاصرون الشخصيّات الدّينيّة التي وظّفوها في شعرهم هي القرآن الكريم، وقَصص الأنبياء، والكتاب المقدّس وغيرها.

والموروث الديني في شعر محمود درويش كثير جدا، حيث وظف محمود درويش الآيات القرآنية والتوراة والإنجيل وقصص الأنبياء في أشعاره، وهنا سنقف عند أحد النماذج الذي استدعى فيه محمود درويش شخصية دينية وهي شخصية النبي (نوح) عليه السلام حيث يقول في قصيدة (**مطر**):

يا نوح!

هبني غصن زيتونٍ

ووالدتي.. حمامة!

إنّا صنعنا جنة

كانت نهايتها صناديق القمامة!

يا نوح!

لا ترحل بنا

إن المات هنا سلامة

إنّا جذور لا تعيش بغير أرض..

و لتكن أرضي قيامه ! (محمود درويش، 2005، ص124-125)

فقد استدعى الشاعر قصة نوح عليه السلام بكل محمولاتها التاريخية والدلالية، التي تعبر عن حالة الانتقال من مكان المولد والنشأة إلى مكان آخر طلبا للنجاة عبر سفينته التي تشكل رمزا للأمن والسلامة من المخاطر الكبيرة التي تهدد الحياة والوجود، إلا أنّ محمود درويش وظف هذه القصة على خلاف سياقها التاريخي، فهو يتشبث بأرضه ويفضل عدم الرحيل عنها، ويرى أن الموت فيها خير من الرحيل إلى اللامكان والاغتراب والمجهول، إذ إن السلام لا يتحقق بترك الأرض وهجرتها، وإنما من خلال البقاء فيها. (د.سهى حسن مشرقي: 2023).

وفي المقابل وبنفس الوتيرة نرى عبدالله بشيو يستلهم شخصية النبي (نوح عليه السلام في قصيدته (**نيشتمان – الوطن**)

نيشتمانم

نيشتمانم نووشتەيەكە

عومرى هزاران ساڵ دەبێ

كە (نووح) بۆى كردم، پێى گوتم:

((وريابە! كەس نەيكاتەوە

كە كرايەوە بەتاڵ دەبێ)) (عبدالله بشيو، 2002، ص81)

من خلال هذه المقطوعة الشعرية يستلهم عبدالله بشيو شخصية النبي (نوح) عليه السلام، ويخبرنا بأن وطنه عمره آلاف السنوات، وقد كتب النبي (نوح) عليه السلام هذه المعلومة للشاعر في رقية، وأعطاه، وقال له: حذاري من أن لا يفتحه أحد؛ وإلا سيلغى السر المختفي في داخله. إذن من خلال هذه الأبيات سعى الشاعر الكردي إلى أن يخبرنا بأن هذه الأرض هي أرض السلام مر عليها النبي (نوح) عليه السلام قبل آلاف السنوات من الآن، وهو الذي يعرف خبايا وأسرار هذه الأرض. فالشاعر باستدعائه شخصية النبي (نوح) عليه السلام واعترافه بأن أسرار هذه الأرض لا يعرفها إلا هو إنما أراد أن يقول: أن النبي (نوح) عليه السلام عندما صعد على متن السفينة يوم الطوفان وحينما استقرت سفينته في جبل جودي في كوردستان كما ورد في القرآن الكريم(ﭧﭐﭑﭒ □ □ □□ ﱠ سورة هود:44. وبسبب استقرار السفينة في كوردستان وفي جبل جودي تحديداً، نستدل أن النبي (نوح) عليه السلام قد مرّ بأرض بكوردستان ورأى بأم عينيه هذه الأرض، فهو من يعرف أسرارها، فلذلك يستلهم شخصية النبي (نوح) عليه السلام في هذه القضية كي تكون دافعا لأبناء هذه الأرض أن يهتموا بها ويعتزوا بالانتماء إليها كونها أول بقعة انحسر عنها الماء ونزل بها النبي نوح عليه السلام ومن كان معه من المؤمنين.

الموروث الشعبي:

يتمثل التراث الشعبي كل ما ينطوي تحته من الحكايا، الأمثال المتداولة، العادات، الأغنيات، الشخصيات الشعبية.(إحسان عباس، 1992). وقد بدت حاجة الشعراء واضحة في الاستعانة إلى توظيف التراث الشعبي، وذلك نظرا لتعدد مادته واختلاف موضوعاته وظفوه في الشعر وأسهبوا في توظيفه بأشكال مختلفة، بغية جعل هذه التجربة الإبداعية مساهمة في الحفاظ بشكل كبير على الهوية والأصالة.

وقد استدعى محمود درويش التراث الشعبي بطرائق متعددة، ومن أمثلة توظيفه للموروث الشعبي توظيفه لشخصية شهرزاد في قصائده، حيث يقول في قصيدة (**خطوات في الليل**):

يا شهرزاد ؟

والخطى تأتي ولا تدخلُ

كوني شجرا

لأرى ظلَّك

كوني قمرا

لأرى ظلك

كوني خنجرا

لأرى ظلك في ظلّي

ورداً في رماد !... (محمود درويش، 2014، ص463)

في هذه الأبيات الشعرية يستلهم محمود درويش شخصية شهرزاد الموجودة في التراث الشعبي، ليعبر عن أزمته النفسية وغربته وقلقه الدائم، لأنه مطارد من عدوه.

وفي المقابل نرى أن عبدالله بشيو يوظف الموروث الشعبي في شعره حيث يقول في قصيدة (**كوسه - الأمرد**):

هاتن هاتن، كۆسە هاتن

دەرگە داخەن كۆسە هاتن

(هەياران و مەياران

ياخوا دەكاتە باران

بۆ فەقيرو هەژاران)

كەسێك دەرگە لە رووى كۆسە نەكاتەوە

ساڵەهايە

تەونى درۆ هەڵدەبەستن

ساڵەهايە

هەورى بەڵێن بەم خاكەدا تێدەپەڕێ و

دڵۆپە باراێێک نایە

هاتن، هاتن، كۆسە هاتن

ئەگەر دەرگەیان ڕاهەژاند

منالەكان فێركەن بڵێن:

بۆن دێ... بۆنی بێگانان دێ...

بۆن دێ... لە عەرد و بانان دێ! (عبدالله بشيو، 2002، ص12-13)

في هذه القصيدة يسلتهم الشاعر عبدالله بشيو عادة من عادات الكرد حينما ينزل الخطر بأرضهم فيحذر بعضهم البعض من سيطرة الأجانب على تراثهم، فيقول عبدالله بشيو مردداً ما كان يقوله العقلاء سابقا لأهل المدينة: إذا جاء الأجانب ودقوا الباب عليكم، لا تفتحوا لهم الأبواب، وعلموا أطفالكم نفس الشيء، لأن الأجنبي يريد أن يدخل منزلكم ويأخذ منكم جميع ما تمتلكون، مقابل إعطائكم وعودا كاذبة. ففي الماضي عندما كانت الأمطار تتوقف ويحدث الجفاف كان الأطفال في كوردستان يصنعون دمية ويطرقون الأبواب وكانوا يطلبون من صاحب البيت أن يرش الماء على الدمية ثم بعد رش الماء على الدمية يرددون هذا القول((هەياران و مەياران ياخوا دەكاتە باران بۆ فەقیرو هەژاران) أي كانوا يرجون من الله عز وجل أن ينعم عليهم المطر.

ومن خلال لجوء الشاعر إلى التراث الشعبي الكوردي يحاول أن يحمي هذا التراث من الاندثار من جهة، وليبين من خلال هذه القصيدة أن الوعود الممنوحة للكورد من قبل الأجانب هي مثل الغيوم التي تغطي السماء ولا تحمل المطر من جهة أخرى. الشاعر يطلب من أبناء جلدته أن يكونوا أكثر حذرا تجاه وعود الأجانب، ولا ينخدعوا بهذه الوعود التي تمنح لهم منذ عشرات السنين ولكنها لا تجلب عليهم غير الاضطهاد.

الموروث التاريخي:

لقد شغل التراث التاريخي بال الشعراء المعاصرين شأنه في ذلك شأن باقي الموروثات الأخرى في حقل الدراسات الأدبية، حيث التجأ إليه الشعراء في استحضار الشخصيات والوقائع التاريخية، حيث اتخذوه قناعا يجسدون من خلاله معاناتهم، ويعبرون عن أفكارهم وآراءهم كدافع لتختفي وراء بما يتناسب وطبيعة القضية المعبر عنها.

ويعد التراث التاريخي مصدرا رئيسا من المصادر التي وظفها كل من محمود درويش و عبدالله بشيو في شعريهما واستحضروا أبرز ما فيه من شخصيات وأحداث، لا سيما البارزة والتي تركت أثرا في النفوس، كأنهم يرون في التراث التاريخي أداة تنطق بلسانهم ويكون وسيلة فاعلة للتأثير في المتلقي. على سبيل المثال يشير محمود درويش إلى التاريخ الطويل لوطنه فلسطين في قصيدته (**بطاقة هوية**) حيث يقول:

جذوري

قبل ميلاد الزمان رست

وقبل تفتح الحقب

وقبل السرو والزيتون

وقبل ترعرع العشب (محمود درويش، 2014، ص74)

مستلها التراث التاريخي يبين محمود درويش جذور وطنه وشعبه، التي ترسخت في الأرض كثيرا، وهو موجود في الكون منذ قبل التاريخ، وقبل نمو أشجار السرو والزيتون، بل وقبل ترعرع الأعشاب.

وفي المقابل نرى عبدالله بشيو هو أيضا يتحدث عن عراقة وقدم أرضه ووطنه حيث يقول في قصيدة(**چەند وشەیەک دەربارەی تەمەنی خۆم – كلمات عن عمري**):

كە ڤالیا لێم دەپرسێ

كەی پێت نایە ئەم دنیایە

ئەی ڤالیا

نیاندرتال بووم، كاتێ پێی خۆم نایە دنیا

بە چاوی خۆم

چاخی هەموو پێغەمبەرەكانم دیوە

كاروانی مێژووی شەرمەزار

بەسەر ناوچەوانی منداڵ تێپەڕیوە

كەچی هێشتا

ئۆفیسە دەجاڵەكانی ئەم چاخە وێژدان تۆزیوە

لە دەفتەری زیندواندا، ناوی منیان نەنووسیوە (عبدالله بشيو، 2002، ص31)

بشيو في هذه القصيدة يقول:عندما تسألني فاليا، متى وطئت قدماك هذه الدنيا؟، أيه يا فاليا، كنت نياندرتالا، عندما وطئت قدماي هذه الدنيا، وقد رأيت بعيني هاتين، عصور جميع الأنبياء والمرسلين، وقوافل التاريخ وقد مرت، خجلي على ناصية جبيني ، ولكن، دوائر دجالي هذا العصر ، ذوي الضمائر الميتة، لم تسجل اسمي في سجل الأحياء، لحد الآن!!؟.

بشيو مقاتل يستعمل سلاح الشعر في سبيل الدفاع عن وطنه كوردستان فهو كمثقف ثوري قد قرأ مليا تاريخ شعبه والأحداث المريرة التي مر بها هذا الشعب المتمرس منذ أقدم العصور، ولم يزل يناضل في سبيل حقوقه التاريخية المشروعة نضالا مستميتا لا هوادة فيه رغم جميع الانتكاسات، إن الشاعر قد استنبط من مجمل هذا التاريخ الدامي حقيقة ثابتة واضحة وهي أن الكورد لم ينفصلوا عن هذه الأرض رغم النكبات وسياسة القمع والاضطهاد وتبديل الواقع القومي والديمغرافي الذي مارسها وما زال في حقه أطراف عديدة داخلية وخارجية بضراوة ووحشية ومنذ حقب طويلة ، فهو في أبيات يتحدث عن كوردستان كموطن الإنسان القديم المعروف بـ(نياندرتال) الذي اكتشفت آثاره في كهف شاندر الذي يعد من أقدم الكهوف في إقليم كوردستان العراق ، يقع عند سفح جبل برادوست في إدارة سوران المستقلة على بعد(122) كم شمال عاصمة إقليم كوردستان العراق أربيل.(شيروان عمر رشيد وآخرون، 2022).

وإن هذا الإنسان قد عاش على هذا التراب قبل آلاف السنوات من الآن كما يقره علماء التاريخ ، ومن جهة أخرى يشير إلى قافلة من قوافل التاريخ التي قد انحدرت من أعالي المعمورة ومرت بكوردستان، وما من عصر من عصور الأنبياء والمرسلين قد بدأ وازدهر ولم يكن لهذا الوطن نصيب من إشعاعاته ولم تنعكس آثاره عليه ولم يغترف منها

ويتجاوب معها ويرتشف الأحكام والقواعد الإنسانية من معطياتها الثرة، ومع ذلك وعلى الرغم من هذا التاريخ العريق والتواجد البشري المستمر والدائم على أرض كوردستان واستمرارا لهذا التحدي البطولي من أجل البقاء والمساهمات الفعلية في جميع حضارات الأمم المجاورة قديما وحديثا قلّت أم كثرت فالتاريخ خير شاهد على ما نقول، وعلى الرغم من كل هذه الحقائق فإن دوائر الدجالين الاستعمارية والذين ماتت ضمائرهم منذ قرون كما يقول الشاعر لم يعترفوا إلى اليوم بحق الشعب الكوردي ولم يسجلوه في سجل الأحياء ولم يكتبوا اسم كوردستان حتى في صفحات الديموغرافيا. أجل لم يسجلوه لحد الآن.

الموروث الأسطوري:

اتجه الشعراء منذ القدم إلى استلهام الأسطورة ووظفوها في شعرهم، وكثر ذلك التوظيف عند الشعراء المعاصرين تحقيقا لرؤيتهم التي تحمل تجربة إنسانية، بأساليب ممتنوعة. فالأسطورة هي ما تعلق بقصص الآلهة والخرافات الخارقة للعادة، والتي تناقلت مشافهة عبر الأجيال، ولهذا سعى الشعراء إلى توظيفها في التراث لأنها حققت تميز مضموني فني وجمالي للنص الشعري.

وكان للتراث الأسطوري حضوره القوي في شعر محمود درويش و عبدالله بشيو كما هو عند كثير من الشعراء. فقد لجأ محمود درويش الى الأساطير لتوظيفها في أشعاره كرمز للتعبير عن قضيته الأولى فلسطين، إلا إنه لم يعتمدها بشكل كلي بل حاول توظيف جزء من هذه الأساطير بغية الخروج بدلالات جديدة بعيدة عن دلالاتها المألوفة من جهة وللإثراء أشعاره من جهة أخرى. ومن نماذجه في هذا المضمار توظيفه أسطورة تموز في قصيدته (**تموز والأفعى**) يقول:

تموزُ مرّ على خرائبنا

و أيقظ شهوة الأفعى

القمح يحصد مرة أخرى

و يعطش للندى..المرعى

تموز عاد، ليرجم الذكرى

عطشا ..و أحجارا من النارِ

فتساءل المنفيُّ :

كيف يطيع زرعُ يدي

كفا تسمم ماء آباري؟

و تساءل الأطفال في المنفى :

آباؤنا ملأوا لياليا هنا.. وصفا

عن مجدنا الذهبي (محمود درويش، 2014، ص107)

فالأفعى في هذه القصيدة رمز للعدو الذي يسلب ويهدم ويخرب الديار، فقد سلب الفسلطينين حصادهم، ودمر بيوتهم، وشرد اهلها، ولوث المياه، واصاب البلاد الجفاف والدمار في ضوء غياب اهلها الشرعين، فتموز الذي يرمز الى شهر الخصب والعطاء والخير والبركة والنماء تحول عند محمود درويش الى قحط وعذاب والآم بل أكثر من ذلك رمزا لأذلال الفلسطينين لأنهم يستذكرون الماضي الخصب المليء بالأمجاد ولايستطيعون اعادتها.

ومن جانبه يستلهم عبدالله بشيو التراث الأسطوري في شعره بأسلوب يتلائم مع الوقت الحاضر فهو فى قصيدته(**بۆ خواى خەوتن – للإله النوم**)(إله النوم في الأساطير اليونانية اسمه (هيبنس) الذي أوقع السبات على زفس فوق جبل إيدا) (الأب فؤاد جرجي بربارة، 2014). يقول:

ئەى خواى خەوتن

وا شەو هات، شەو

پێشكەشم كە، وچاێك خەو (ديوان عبدالله بشيو، 2002، ص185)

جراء الأحزان التي سيطرت على قلب الشاعر عبدالله بشيو، لا يستطيع أن ينام في الليل، فيدعو إله النوم (هيبنس) أن يساعده بإعطائه فترة قصيرة من النوم فيقول: يا إله النوم، حل الليل، الليل، ثم يقول أعطيني هدية، وهذه الهدية عند عبدالله بشيو هو النوم، الذي حرم منه بسبب همومه التي يختلج نفسه، ولا تدعونه ينام بهدوء، وهذا يذكرنا بقول الشاعر امرؤ القيس عندما قال:

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

(ديوان امرؤ القيس، 2004، 117)

فامرؤ القيس بسبب همومه لا يستطيع النوم ويعبر عن مكنونات نفسه الحزينة عبر هذا البيت الشعري ويعتبر الليل كأنه وضع ظلامه عليه ليبتليه فلذلك لا يستطيع أن ينام. وكأن عبدالله بشيو مر عليه نفس الابتلاء، فالاحزان ضاقت عليه الليل، وليس بإمكانه أن ينام ولو لبرهة، فيطلب المساعدة من إله النوم.

1.2 المبحث الثاني: الشعر والهوية

يتصدر الشاعران محمود درويش و عبدالله بشيو الريادة في حماية الهوية، وشكل أفكارهما وآرائهما مانعا للتقوقع في الأنا الضيقة المحصورة بجغرافية محددة أو مميزات خاصة أو إرث تاريخي ذاتي، فجسدا قواسم الهوية الفلسطينية والكوردستانية المتمثلة في الوطني والقومي والإنساني، ليخلق منظومة متفاعلة تشكل هوية العربي الفلسطيني، والكوردي الكوردستاني دون تذويب للثوابت أو التخلي عنها. لقد انعكست رؤى محمود درويش و عبدالله بشيو في شعريهما الذي تجاوز حدود النظم الأدبي وقواعده، إلى بلورة مفهوم جديد للهوية الفلسطينية والكوردستانية وربما مفهوم جديد لهوية الإنسان أيا كانت الجغرافيا التي يقيم عليها وأيا كان المرتكز التاريخي الذي يستند إليه، وكذلك لغته وحتى خصائصه المميزة، ونحن حين نتحدث عن الهوية عند محمود درويش يستوقفنا مجموعة قصائد من ديوانه المغزى وراءها حماية الهوية، فيقول في قصيدة (**بطاقة هوية**):

سجل

أنا عربي

أنا إسم بلا لقب

أبي من أسرة الحراث

لا من سادة نجب

وجدي كان فلاحا

و لون الشعر فحمي

و لون العين بني

سلبت كروم أجدادي
سجل برأس الصفحة الأولى
أنا لا أكره الناس
و لكني إذا ما جعت
آكل لحم مغتصبي
حذار حذار من جوعي
و من غضبي (محمود درويش، 2014، ص74)

يستطرد الشّاعر في هذه القصيدة هُويته العربيّة، فهو فلاح عربي فقير يعمل في أرضه يأكل من كد عيشه لايتوسل للعدو من أجل لقمة العيش، وصف شكل العربي خلال القصيدة ليؤكد عربيته، ويخبرهم أنه صبور الى أبعد الحدود، وأنهم ليسوا من سلالة النبلاء، بل إنهم من سلالة البسطاء، ويخاطب العدو إن كنتم سلبتم أرض جدودي وأرضنا ليحذرهم إن كنتم تستمرون بعدوانكم واغتصابكم لأرضنا فإننا لانكره أحداً ولكننا إذا ماجعنا فحذاري منا، حذاري من جوعناوغضبنا. فالشاعر هنا لا يدافع عن هويته الفلسطينة فحسب بل يدافع عن هويته العربية بكل قوته، من خلال ربط الهوية العربية بالهوية الفلسطينية تحديدا.

أما الشاعر عبدالله بشيو ففي معرض دفاعه عن حقه في الحياة كمواطن كوردي فيقول في قصيدته (**سەركۆنەم مەكە – لا تعاتبني**):

سەركۆنەم مەكە!
منيش، وەک تۆ، گۆی زەوی مالّمە
ئاسمانيش تافتەی كچی خەيالّمە
وەک تۆ خواكردم،
بۆيە سەربەندی شيعرم هەر كوردە،
چونكە كوردم و ناهێڵن كورد بم! (عبدالله بشيو، 2002، ص371).

الشاعر فى هذه الأبيات يستغرب من عدم السماح له بممارسة حقه في الحياة بهويته الكوردية، ويطالب بأن لا يغبن حقه في الحياة فهو أيضا من سكنة الأرض، والله سبحانه خلقه مثل جميع الناس الذين خلقوا على اختلاف شعوبهم وألوانهم وألسنتهم بعدالة، فيخاطب صديقه ويقول له أن الله خلقني مثلك ومنحني حق الحياة ولي الحق في العيش والتمتع بالدنيا، فليس لأى أحد أي كان أن يسلبه هذا الحق، فيقول حالي حالكم أعبد الله، ولكن حرموني أن أعيش مثلك، لأنني كوردي. فبأية مشيئة وبأية إرادة يمنعونه من ممارسة حقوقه كإنسان حر، كبقية شعوب العالم.

ويستمر بشيو في الذود عن وطنه عندما يقول في قصيدته (**دەنگێک لە كوردستانەوە – صوت من كوردستان**):

دەنگم نيە
من كوردێكم
هەرچەند ئەمرۆ خۆم نيشان دەم
رەنگم نيە
كوردستانی گەورە و مەزن
وەک خەرمانی جوتيارى كورد
بەش كراوە!
باستيلێكە
كوردى تێدا ئاخنراوە
بەڵام پەيمان
هەزار.. پەيمان
وک كوردێكی خاوەن گيان
چەک هەڵگرم (عبدالله بشيو،2002، ص110)

في هذه القصيدة يخبرنا الشاعر بأن صوته لايصل لإحد ، ولا أحد يسمعه فأنا كوردي مهما حاولت أبرز نفسي، لا لون لي، لا صوت لي، كوردستاننا الكبرى قسموها كما قسموا خيرات بلادي، فكوردستان أسيرة محتجزة كأنما في السجن مقسمة الى أجزاء.

وعودة إلى شعر محمود درويش وتحديدا قصيدة (**جواز سفر**) الذي يشكو من خلالها فقدانه للهوية الفلسطينية رغم امتلاكه جواز السفر.

لم يعرفوني في الظلال التي
تمتصُّ لوني في جواز السفر
لم يعرفوني، آه... لا تتركي
كفي بلا شمس،
لأن الشجر
يعرفني...
تعرفني كل أغاني المطر
كلُّ العصافير التي لاحقتْ
كفّي على باب المطار البعيد
كل حقول القمح،
كل السجونِ،
كل القبور البيض
كل الحدودِ،
كانت معي ، لكنهم
قد أسقطوها من جواز السفر ! (محمود درويش، 2014، ص373)

وفي هذا نجد تقاربا ملحوظا في المضمون والمعاناة والقهر بين محمود درويش وعبدالله بشيو في قصيدته (**دووانزە وانە بۆ منداڵان - إثنا عشر درسا للأطفال**) يقول:

شەو لە خەوما رێبوارێک بووم
بۆ بارەگای يۆتان دەچووم
رەشم بينی – ئاڵای هەبوو
سپيم بينی ئاڵای هەبوو
هەر چيم بينی – ئاڵای هەبوو
قيژاندیان:
ئەی بێ ئاڵا بۆ دەرەوە
ئەی بێ ووڵات بۆ دەرەوە (عبدالله بشيو، 2002، ص237)

يقول الشاعر: ليلا في الحلم كنت عابر سبيل الى مقر يوثانت، حين بلعتني البوابة، رأيت الاسود كانت له راية، رأيت الاخضر كانت له راية، رأيت الاحمر كانت له راية، كل من رأيت كانت له راية، وفجأة صرخوا بوجهي، الى الخارج يامن لاتملک راية!!.

بشيو الذي يعيش في خضم المعاناة الكوردية يروي حقيقة مريرة قاسية من خلال حلم راوده في إحدى الليالي وهو يزور مقر الأمم المتحدة ويدخل إلى أروقة الأمم المتحدة يستبد به الانبهار والعجب عندما يرى بأم عينيه أمم الأرض جميعا سودها وبيضها قد نصبوا في باحة مقر الأمم المتحدة أعلامهم فيما خلت راية الكرد فلم يجد الشاعر لهم علما

مرفوعا بين هذه الأعلام، وعندما اقترب منهم صرخوا بوجهه وقالوا له أخرج فورا لأنه لا علم لك ولا وطن. إن هذا الحلم "المتجسد عذابا سرمديا" في وجدان كل كوردي بدولة مستقلة، كان الهاجس الاكبر لبشيو وقد حاول أن يعطي لهذا الحلم ـ الهاجس بعدا إستثنائيا حين ربط بينه و بين عالم الاطفال حيث الامل و التطلع نحو المستقبل، أو بتعبير آخر أراد أن يزرع الامل بالحلم في براءة الاطفال.

وتجاه هذا الحزن الذي خيم عليه في حلمه يأتي بشيو ليبيع كل تاريخه مقابل أن يحصل هو وشعبه على دولة مستقلة، يشعرون فيها بالأمان بين شعوب المنطقة. حيث يقول في قصيدة (**مزاد - المزاد**)

كێ كرياره؟

هەرچیم هەیە هەمووی مەزاد

بە پارچەیەک پەڕۆی سادە

کە هەلبکرێ و بنیشێتەوە

لەسەر بستێک زەوی ئازاد (عبدالله بشيو، 2002، ص257)

يقول الشاعر في هذا المقطع: من المشتري؟، سأبيع كل ما أملك في مزاد، مقابل قطعة قماش، يرفرف، على شبر أرض حر .

هذا التناقض الذي يعاني منه عبدالله بشيو لا يعني بأنه مستعد لأن يبيع تاريخ شعبه وأرضه ووطنه وعرقه؛ بل هناك هم كبير يعتصر قلبه، كما يعتصر قلب كل كوردي في ارجاء المعمورة، وهو عدم امتلاكه دولة مستقلة في العالم ، فمن خلال هذه الأبيات يبين عبدالله بشيو بأن امتلاك الدولة سيساعدك على أن تحتفظ بكل ما لديك من تراث وتاريخ وأرض ولغة ، ولكن مع عدم امتلاك الدولة ، جميع ما لديك في خطر.

عشق فلسطين وعشق كوردستان شيء أبدي يبقى في قلب الشاعرين محمود درويش وعبدالله بشيو ولبيان هذا العشق لفلسطين يقول محمود درويش في قصيدة (**عاشق من فلسطين**):

فلسطينيةَ العينين والوشمِ
فلسطينية الاسم
فلسطينية الأحلام والهمِّ
فلسطينية المنديل والقدمَين والجسمِ
فلسطينية الكلمات والصمتِ
فلسطينية الصوتِ
فلسطينية الميلاد والموتِ
حملتُك في دفاتريَ القديمةِ
نار أشعاري
حملتُك زادَ أسفاري (محمود درويش، 2014، ص81)

فكلمة عاشق هي الكلمة الأولى في اسم القصيدة وهي مقدمة النص، ومعشوقة الشّاعر هي: الأرض، الوطن، التاس وترمز معشوقة الشاعر لكل هذا المر. فكلما تأمل عيون حبيبته احس شوكة في قلبه تؤلمه فهي لانها تذكره بالنكبة، وهو يريد أن يحمي الوطن ويدافع عنه بعد اليأس والخيبة على أمل العودة. حبيبته قوية فهي مسافرة وحدها وربما اراد الشاعر هنا ان يرمز الى استقلالها وهي بالتالي رمز لاستقلال الوطن.

وفي المقطع الآخر يستشعر القارئ إن تكرار اسم فلسطينيّة سبع مرات كرمز مقدس يشير إلى حرص الشاعر الكبير لحماية هويته . بالإضافة إلى أنها إشارة إلى رغبة الشاعر في تحرير الوطن واستعادته متمثلا في استعادة اسم فلسطين "سأكتب جملةً أغلى من الشهداء والقبلِ/ فلسطينيّة كانت ولم تزلِ"!.

فى المقابل وللتعبير عن معاناته الأليمة في أرض الاغتراب، جعل عبدالله بشيو قلبه مثل قطار يمر بمئات محطات الوقوف ففي كل محطة ينزل منه راكب ويصعد إليه آخر، غير انه وعلى طول طريق السفر هنالك راكب يأبى النزول وهو قابع في زاوية من زوايا هذا القطار الملهوف حزينا صامتا لا يبرح مكانه انه (كوردستان) فيقول فى قصيدته (**چەند وشەیێک دەربارەی دڵی خۆم – كلمات عن عمري**):

دڵی من چەشنی واگۆنی قیتارێکە
هەزار و یەک وێستگەی هەیە
لە هەر یەکێ لەو وێستگانە رابوەستێ،
رێیوارێک بەجێی دەهێڵی.
بەڵام لەوەتەی دڵی من بۆتە واگۆن
رێیوارێکی پەستی تیایە
دانابەزێ،
ئەم رێیوارە کوردستانە (عبدالله بشيو، 2002، ص35)

في هذا المقطع يعتبر عبدالله بشيو قلبه كشاحن قطار، يمر بألف محطة ومحطة، ففي كل وقفة للقطار، ينزل منه مسافر، ويصعد إليه آخر، ومنذ أن تحول قلبه إلى قطار، يقبع راكب حزين، في إحدى زواياه، يأبى النزول، هذا الراكب الحزين هو (كوردستان).

فالشاعر في هذه القطعة الشعرية بل اللوحة الجميلة الرائعة ومن خلال هذه الزفرات الحارة التي تنفثها نبضات قلبه المكلوم يتخيل وطنه وشعبه المضطهد كمسافر تائه يجري مسرعا لا يلوي على شيء ولا يتوقف في موقف أو محطة راحة يجري لكي يلقى ويمسك باسمه الضائع الذي اشتهر به في العالم ويجد عينيه الضائعتين اللتين بهما تعلى نفسه وعرفها، فيندمج الشاعر بكلماته المجنحة الزاهية ونفثات قلبه الحزين في الأنا الواحد ويتناغم معه تناغما روحيا حتى لكأن هذا القلب هو القطار الذي يتناوب المسافرون فيه صعودا ونزولا في المحطات إلا واحدا فقط، فهو المسافر التائه الحزين القابع في إحدى زوايا قلبه الجريح الذي لم يندمل حيث يعتبره الشاعر عرين حبه الأول ومهد عشقه يوم فتح عينيه لأول مرة يافعا متيما بحب كوردستان.

بشيو الذي كان غادر كوردستان في ريعان شبابه وعاش في برودة أوروبا، يجعل من قلبه المشتاق قطارا يحمل كوردستان أينما ذهب وتوجه إلى أي مكان، فالشاعر حزين على وطنه الذي يصفه بالتائه لا دولة له لا هوية رسمية له بين دول العالم، فقد حمل الشاعر هذا التائه على كاهله يصول ويجول به أينما حل.

ولشدة عشقهما لوطنهما يخيم الحزن على كل من محمود درويش وعبدالله بشيو بسبب احتلال أرضهما من قبل المحتلين الذين سلبوا أرضهم دون وجه حق وشرعوا في التغيير الديمغرافي على هذه الأرض خلال ترحيل أبناءها وإسكان آخرين مكانهم حيث يقول

درويش وهو يخاطب المحتل في قصيدته (**عابرون بين كلمات عابرة**):

أيها المارون بين الكلمات العابرة

احملوا أسماءكم وانصرفوا

واسحبوا ساعاتكم من وقتنا، و انصرفوا

أيها المارون بين الكلمات العابرة

آن أن تنصرفوا

فاخرجوا من أرضنا

من برنا .. من بحرنا

من قمحنا .. من ملحنا .. من جرحنا

من كل شيء ، واخرجوا من ذكريات الذاكرة

أيها المارون بين الكلمات العابرة ! (محمود درويش، 2014، ص601)

ففي القصيدة دعوة إلى جلاء العدو المستعمر من البلاد، وبأن هذه البلاد لايسعه فه ليس أكثر من مجرد محتل ولا بد من الرحيل، وترك الديار لإهلها وإلا فلن ينعم بخيرات هذا البلاد.

ومن جانبه يعبر بشيو عن استيائه من مسألة تعريب بعض المناطق الكوردستانية في زمن الأنظمة السابقة التي حكمت العراق إذ يقول في إحدى قصائده:

باركەن، برۆن

كانياوەكان جگە لە من

كەسێكى تر تێر ئاو ناكەن

دار گوێزەكان جگە لە من

بۆ هیچ كەسێک

سێبەری خۆیان هەلناخەن

باركەن برۆن

زەوی ئێمە

دانی ئێوەی لێ شین نابێ

باركەن برۆن

هەنگوینمان بە دەمتان تالە

باركەن برۆن

باركەن برۆن (عبدالله بشيو، 2002، ص240-242).

ففي هذه القصيدة يعبر الشاعر عن سخطه تجاه قضية التعريب الممنهجة التي كانت تهدف إلى التغيير الديمغرافي واللغوي والجغرافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي في مدن وقرى كوردستان، فكلمة التعريب التي وظفها الشاعر عبدالله بشيو في هذه القصيدة كانت تسهدف حقوق الكورد، إذ حاولت الأنظمة المستبدة اجتثاث الكورد من على أرضهم، وكانت تجرم اللغة الكوردية. فهو خائف على هوية قومه الكوردي بسبب ترحيل الكورد من أرضهم وحل العرب في مكانهم... وبصوت أدبي واضح يطلب بشيو من العرب الذين اغتصبوا أراضي الكورد بغير وجه حق أن يتركوا أرض كوردستان لشعبها وناسها الأصليين. وبكل شجاعة يقول لهم ارحلوا من هذه الأرض فهي أرض آبائنا وأجدادنا . فكوردستان بريئة من كل غاصب، وهذه الأرض لا تعرف الغرباء لأنهم ببساطة لسيوا من أهلها.

الخاتمة

1. امتلك كل من محمود درويش و عبدالله بشيو قاموسا لغويا مستمداً من التراث وممزوجا بلغة العصر.
2. تواصل الشاعران مع التراث إذ جاء شعرهما صورة حية لواقع شعبيهما وقضيته، فبتواصلها بالتراث، استطاع الشاعران أن يتواصلا مع شعبهما، وحاولا أن يوصلا رسالته إلى الأرجاء المعمورة.
3. تنوعت الأنماط التراثية عند الشاعرين فقد وظفا في شعرهما التراث الديني والتاريخي والشعبي والأدبي والأسطوري، وهذا يدل على سعة ثقافة الشاعرين ومقدرتهما الكبيرة على توظيف التراث في الشعر
4. التقى محمود درويش مع عبدالله بشيو في رحلة البحث عن الهوية المفقودة، وقد تبين لنا هذا الالتقاء خلال النماذج الشعرية التي تناولناها بين دفتي هذا البحث.
5. هناك تشابه كبير في القصائد الشعرية المتعلقة بالهوية عند الشاعرين محمود درويش وعبدالله بشيو.
6. من خلال الرجوع إلى قصائد الشاعرين تبين لنا بأن الهمّ الأول والأخير للشاعرين هو الحصول على كيان مستقل من خلاله يحاولان حماية كل ما يمتلكانه من تراث وأرض وثقافة ولغة ووطن.

1.3 المصادر والمراجع

الأب فؤادب جرجي بربارة، الأسطورة اليونانية، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة- دمشق، ط1، 2014.

إبراهيم الدهون، استلهام التراث في الشعر؛ رؤية وإبداع، مجلة الجوبة، ع34، 2012.

إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر،، ط2، دار الشروق، عمان، ط2، 1992.

اعتدال عثمان، جماليات المكان، مجلة الأقلام، العراق، العدد2، 1986.

بوعارة بوعيشة، الشاعر العربي المعاصر ومثاقفة التراث، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع8، 2011.

حمدي عبدالمجيد السلفي، تحسين إبراهيم الدوسكي، معجم الشعراء الكرد، دار سبيريز، دهوك، ط1، 2008.

ديوان امرؤ القيس، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط5، 2004.

ديوان دكتور عبدالله بشيو، سويد، ط1، 2002.

رائد فؤاد طالب، تجليات الهوية الحضارية في شعر علي جعفر العلاق، مجلة أروك للعلوم الإنسانة- البصرة، العدد1، المجلد14، 2021.

د.سهى حسن مشرقي، استلهام التراث وتوظيفه في شعر محمود درويش، دار جرير، عمان، ط1، 2023.

شيروان عمر رشيد وآخرون(2022)، التنمية السياحية للكهوف في إقليم كوردستان العراق، ، مجلة جامعة دهوك، المجلد:25، العدد: 1.
صلاح عبدالصبور(1969)، حياتي في الشعر، دار العودة، بيروت.
طه وادي، جماليات القصيدة المعاصرة، دار المعارف، القاهرة، 1989.
عبدالله نبهان، اللغة والتراث، مجلة الوقف الأدبي، دمشق، المجلد27، العدد314، 1997.
عزالدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، ط3، 1981.
محمود درويش(2014) ، الأعمال الشعرية الاملة، مؤسسة محمود درويش، رام الله فلسطين، الأردن، عمان .
محمود درويش، رياض الريس، بيروت، ط1، 2005.
د.محمد صابر عبيد، صوت الشاعر الحديث، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011.
مصلح النجار، السراب والنبع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005.
سفيان ساسي. تكوين الهوية الرقمية للشباب الجزائري: مقاربة سوسيولوجية لاستخدام شبكات التواصل الاجتماعي. تاريخ الاسترداد 31 ماي, 2016، من موقع أرنتروبوس: http://www.aranthropos.com
https://www.diwanalarab.com/ تطور مفهوم الهوية في شعر محمود درويش
https://www.palestine-studies.org/sites/default/files/mdf-articles/pd10749-.
محمود درويش وسؤال الضحية
يشار إلى المصادر في بداية متن الفقرة بذكر الاسم الأخير ثم سنة النشر بين قوسين
جواهر الشعر والشعراء،
http://readingtuesday.blogspot.com/2008/6/3/blog-06/2008-post.html
.